

في نقد فلسفة كارل أوتو آبل: جان مارك فيري أنموذجا. In Criticism of the Philosophy of karl Otto Apel: Jean- Marc Ferry as a Model

بن دنيا سعديّة²

bendeniasaadia@yahoo.fr

بورزاق يمينّة^{1*}

yamina.bourezak@univ-mosta.dz

¹ جامعة عبد الحميد بن باديس مستغّام (الجزائر)

² جامعة عبد الحميد بن باديس مستغّام (الجزائر)

تاريخ النشر: 2021/12/31

تاريخ القبول: 2021/04/13

تاريخ الإرسال: 2021/04/05

ملخص:

يعدُّ الفيلسوف الألماني المعاصر كارل أوتو آبل أحد أبرز الفلاسفة التواصلية، من خلال فلسفته القارية ومشروعه في إتيقا المناقشة الذي عرف انتشارا واسعا، نظرا لما يحمله من قيم معيارية وإتيقية، إلا أنّ هذا لم يمنع وجود انتقادات وتصويبات له. لهذا سنتناول في هذه الورقة البحثية الموقف النقدي للفيلسوف الفرنسي جان مارك فيري اتجاه فلسفة كارل أوتو آبل التأسيسية التي ركز فيها على التأسيس النهائي الترنسندنثالي للعقل، حيث سعى إلى تقديم مجموعة من الملاحظات النقدية لمشروع آبل الفلسفي في إحدى محاولاته المعنونة بالتفكير مع آبل ضد آبل في كتابه فلسفة التواصل الذي عالج فيه التواصل كإشكالية فلسفية معاصرة لدى الكثير من الفلاسفة، حيث سنركز على نقطتين أساسيتين أولهما المشروع التأسيسي لكارل أوتو آبل أين سنبيّن أهم ما قدمه من أفكار فلسفية، وثانيتها عرض أهم الانتقادات التي تعرض لها.

الكلمات المفتاحية: كارل أوتو آبل؛ جان مارك فيري؛ إتيقا المناقشة؛ المشروع التأسيسي؛ الحجة الترنسندنثالية.

Abstract :

The contemporary German philosopher Karl Otto Apel is one of the most prominent communicative philosophy through his continental philosophy and his project in the ethics of discussion, which was widely spread due to the normative and ethical values it carries, but this did not prevent the existence of criticisms and corrections to him, so we will address

* المؤلف المراسل: yamina.bourezak@univ-mosta.dz

in this research paper the critical position of the philosopher. The Frenchman Jean-Marc Ferry directed Karl Otto Apel's foundational philosophy in which he focused on the final transcendental establishment of the mind, as he sought to present a group of critical observations of Aple's philosophical project in one of his attempts entitled Thinking with Aple against Aple in his book Philosophy of Communication in which he treated communication as a contemporary philosophical problem For many philosophers, we will focus on two main points, the first of which is the founding project of karl Otto Apel, where we will show the most important philosophical ideas he presented, and the second of which is the most important criticism that he was exposed to.

Keywords : karl Otto Apel; Jean Marc Ferry; ethics of discussion; Foundation project; The Transcendental Argument.

1. مقدمة:

تعتبر الفلسفة الترنسندنتالية لكارل أوتو آبل فلسفة ذات أهمية في الطرح الفلسفي المعاصر، وهذا راجع إلى طبيعة الأفكار والعمل المضني الذي قدمه آبل، أين منح نفس جديد للفكر الفلسفي بتغيير البراديغم العقلي بآخر أساسية اللغة، جامعا بين التقليديين الهيرمنوطيقي والأنطولوجي ليصبح بذلك أحد رموز الفلسفة القارية، ويعتبر مشروعه التأسيسي البراغماتي- الترنسندنتالي انعكاسا لأفكاره التي طرحها في نظريته الإتيقية الخاصة بالحوار، العلم، والسياسية، وعلى الرغم من تأكيدات حول نجاعة التأسيس النهائي إلا أن هذا لم يمنع وجود انتقادات لهذا المشروع، انتقادات قدمها عديد الأسماء أمثال مواطنه يورجين هابرماس Y.Habermas، هانز ألبرت H. Albrert، سيليا بنحبيب B. Syla، إدموندس أبسالون، والمغربي حسن مصدق، كما قدّم أنموذج هاته الورقة البحثية الفيلسوف مارك فيري Jean-Marc Ferry أيضا انتقادات لفلسفة كارل أوتو آبل وهذا ما سنتطرق إليه بعد أن نوجز الحديث عمّا طرحه الفيلسوف الألماني، انطلاقا من الإشكالية التالية: كيف عالج مارك فيري الأفكار الفلسفية لأبل؟ وماهي أهم الانتقادات التي وجهها له؟، ومن خلال هذه الإشكالية سنحاول التوصل إلى أهم ما طرحه مارك فيري من آراء وما أعاد بلورته بعد القراءة النقدية التي قام بها للمشروع الإتيقي.

2. قراءة في فلسفة كارل أوتو آبل التحويلية:

بين كارل أوتو آبل في مؤلفه تحول الفلسفة la transformation de philosophie الذي ضمّ في طياته مختلف الآراء حول اللغة مجتمعة، مساره العام لتحويلية الفلسفة أشار مترجم كتاب تحويلية الفلسفة في جزئه الثاني إلى أن "تعبير تحويل الفلسفة ينضوي على عنصر الغموض والإلتباس، لأنه من جهة يشير إلى التحولات التي عرفتها الفلسفة عبر تاريخها الطويل، ومن جهة أخرى وبالنظر إلى المشروع النسقي بوصفه مقارنة تاريخية، فإن هذا العمل يشير بصفة خاصة إلى التحويل الذي عرفته فلسفة القرن العشرين، بالتأكيد خاصة على الدور الذي لعبه المنعطف اللغوي، حيث ركز آبل على ثلاث تيارات فلسفية أساسية تمثلت في تداولية فيتجنشتاين، وأوليوية هيدغر، وسيميوطيقا بيرس"¹، وبين من خلالها "أن هذا التحويل إستهدف تحوّلًا للغة، حيث كانت بداياته في التفسيرات التقليدية منذ همبولدت إلى هيدغر وغادامير، والتي تهدف في مجملها إلى الكشف عن ثقل التقاليد التي تحافظ على اللغة الطبيعية للذوات"²، وهذا ماجعل اللغة موضوعا أساسيا للتفكير، "فباللغة في أبسط معانها هي نسق من العلامات signes المستخدمة في بناء نماذج منظمة من التركيبات وفقا لقواعد معينة يتواضع عليها أصحاب تلك اللغة بهدف التواصل"³ وأصبحت اللغة موضوعا هاماً ورئيساً في الفلسفة، منذ نهاية الفلسفة الحديثة ومطلع الفلسفة المعاصرة.

كان الأثر الكبير لفتجتشتين الثاني وهيدغر واضحا على تفكير كارل أوتو آبل خلال تأسيسه "لنظرية التداولية بعد أن قام بنقد نظرية همبولدت ذات الطابع الكانطي"⁴، في تأسيسه هذا أعاد "صياغة البحث الفلسفي من حيث أنه سيميوطيقا ترنسندننتالية، حيث يتعلق الأمر عنده بإدراج وجهات النظر التداولية التي تجعل كل تفكير نشاطا عن طريق العلامات، وآراء فتجيشتين الثاني التي بيّنت أن اللغة تحيل إلى مختلف أشكال الحياة الإجتماعية في نظرية واحد، بالإضافة إلى قيامه بالتوفيق بين هاته الآراء وآراء

¹Karl Otto Apel, transformation de la philosophie 02, traduits sous la direction de Pol Vandeveld, les éditions du cref, paris, 2010., p p 09,10.

²Ibid, p34.

³صلاح عثمان، فلسفة اللغة، مفاهيم أساسية، من كتاب نحو فلسفة للكيمياء، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط.)، 2004، ص 03.

⁴الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 204.

هيدغر حول طبيعة الفهم لمختلف المؤسسات الإنسانية بواسطة اللغة التي يعتبرها بيتا للوجود¹، وهي بذلك آلية تحدد علاقتنا بذواتنا وبالوجود أيضا، وقد قدّم آبل آراءه هاته في مقال له تحت عنوان المنعرج اللغوي والهمنوطيقي في الفلسفة، أين "حاول أن يبحث في مسألتين نموذجيتين ليس فقط في فهم التقارب بين هيدغر وفيتجنشتاين، بل بخاصة في بلورة نقد فيتجنشتاين وهيدغر لما يسميه آبل البراديفم قبل الفيتجنشتايني وقبل الهيدغري (...).، يعني براديفم الوعي الحديث. هاتان المسألتان المشتركتان اللتان من خلالهما تمكّن كل من هيدغر وفيتجنشتاين من الانتقال بالممارسة الفلسفية من براديفم الوعي إلى براديفم اللغة"²، مبيّنا أن "إعادة بناء الفلسفة وتحولها ترنسدنتاليا تتم وفقا لثلاث مراحل تستمر الواحدة منها في الأخرى: اللغة كتواصل، اللغة (التواصلية) كجدل، واللغة (الجدلية) كالتزام إتيقي"³، حيث لجأ إلى في هذا التحويل إلى الكثير من الأسماء على غرار هيدجر وفيتجنشتان الثاني أمثال فلاسفة اللغة سيرل وأوستين ونظريته في ألعاب اللغة التي تعد إحدى أسس نظريته في النقاش باعتبار أن اللغة هي الأداة المثلى والأساسية للتواصل، فاللغة هي المنعطف المصاحب لفكر آبل في صيغتها البراغماتية، وكانت آراءه حولها ذات بعد "تداولي انعكس في التواصل والإتيقا والحجاج والمعرفة وكشف الحقيقة والمعنى (..) اللغة الأداة المحورية التي يجب أن توكل إليها مهمة تأسيس أخلاقيات الحوار والتواصل، عبر التوظيف والتأسيس لعقلانية تواصلية تنظر إلى اللغة لا باعتبارها وسيلة للبيان أو التصوير، إنما يجب النظر إليها من جهة مهمتها التداولية وعمقها التواصلية (...)"⁴ ودورها في الفهم البيئي، واتيقا المناقشة Diskursethik كنظرية "مرتبطة بفلسفة التواصل وهي أخلاق إجرائية لا تدعوا إلى مضامين بعينها بقدر ما تنير الطريق للوصول إلى أجراً سليمة بشأنها (...). فلفظة Diskurs تعني النقاش والمناقشة وليس الخطاب discours كما يتبادر للذهن"⁵، ويمكن

¹Karl Otto Apel, la transformation de la philosophie 02, op.cit.p10. (voir l'introduction).

²فتحي المسكيني، التفكير بعد هيدغر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل؟، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2011، ص 120.

³Karl Otto Apel, la transformation de la philosophie 02, op.cit, p38 (voir l'introduction).

⁴علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أمودجا، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص 208.

⁵حسن مصدق، بورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005، ص 14 (نظر المقدمة).

تعريفها بأن "للعقل بنية منطقية تتيح اعتماد البرهان كضرورة لأي تأسيس أو تعقيد لما يختاره الإنسان من نظم"¹، من شأنها تفعيل العلاقات في مجتمع التواصل، حيث عمل في هذه النظرية على أخلة الخطاب في طابعه الحوارية أو المناقشة وسن قواعد ومعايير ومبادئ تستند عليها العملية التواصلية بهدف التوصل إلى الإجماع بين الذات المتناقضة، بناء على المتطلبات الأساسية للنقاش وهي حسب آبل الأساس الذي "يبني عليها التواصل، وهي الطرح الذي يتفق فيه مع هابرماس والتي يجب على كل الأفراد الفاعلين في التواصل الالتزام والتقيد بها وهي المعقولة: القضية المعبر عنها لغويا تكون في معناها التداولي خاضعة لقوانين العقل وأحكامه العامة. الحقيقة: أن يتم الإقرار والاعتراف بحقيقة الملفوظ الناتج عن أفعال كلام المتحدثين. الدقة المعيارية: ان نعترف بدقة المعيار أثناء استخدام الكلمات في شكل ملفوظات متفق حولها ضمن سياق معياري مصطلح عليه بواسطة فعل الكلام. الصدق: يجب أن لا نشك في صدق الذات المشاركة في التفاعل"²، وقد أشار آبل إلى أهمية هذه المزاعم في العملية التواصلية ونجاحها.

في حديثه عن اللغة بما هي مورد أساسي من موارد العالم المعاش، بين آبل إصراره "على اللغة الطبيعية"³، خاصة بعد إطلاعها على كتابات هيدغر وتأثره بأنطولوجيته، "فالفهم اليومي للعالم بما هو عالم معيش هو المصدر الذي لا يمكن للدرازين أن يتصل منه، من أجل أنه سابق على كل موقف نظري لاحق. وهذا الوضع التأويلي الأولي الذي توفره اللغة العادية هو نمط كينونة الدرازين أولا على الأغلب"⁴، متفقا مع ما قدمه فيتجشتين الثاني، وما طرحه أوستين حول الطابع الإستعمالي للغة، حيث تقوم نظرية الاستعمال "على إفتراض مؤداه أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة"⁵ مبينا أن "معنى

¹ محمد بكاي، أرخبيلات ما بعد الحدائت رهانات الذات الإنسانية: من سطوة الاتغلاق إلى إقرار الاعتناق، دار الرافدين، بيروت، opus publishers، كندا، ط1، 2017، ص255.

² على عبود المحمداوي، الناصر عبد اللاوي، بورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإيتقي في النقد العلمي والديني والسياسي، إين النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، ط1، 2013، ص239.

³ Karl Otto Apel, la transformation de la philosophie02 ,op.cit, p 34.(voir l'introduction).

⁴ فتحي المسكيني، التفكير بعد هيدغر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل؟، مرجع سابق، ص121.

⁵ عبد الفتاح جاب الله، فلسفة اللغة والمنطق دراسة في فلسفة ستراوسن، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014، ص25.

الكلمة يتحدد بناء على الظروف المختلفة التي نستعمل الكلمة في حدودها"¹، أي السياق الظرفي والزمني الذي يقع فيه الكلام، ومن هذا المنطلق افتتح كارل أوتو آبل حديثه عن المجال الفلسفي لأفعال اللغة في كتابه منطق الخطاب الإنساني بتساؤل عام حول طبيعة نماذج فلسفة اللغة واضعا حدودا بين ماهو تقليدي وماهو نيو براديغم والذي "يستند على المسلمة الأساسية القائلة أن اللغة لها أيضا وظيفة أساسية ولها بالفعل وظيفة تأويلية متعالية وأن اللغة ينبغي النظر إليها في الحقيقة بصفتها المنطق (اللجوس) المشترك بين البشر"² جميعا، مضيفا أن البحث عن إجابات كالتى تبحث في العلم الترنسندنتالي "ينبغي أن تكون من ضمن إنجازات لغوية حقيقية لفلسفة القرن العشرين، وبالتالي فإن اللغة لها قيمة متعالية"³ خاصة وأن "إستعمال اللغة شبيه بلعبة علينا أن نتعلم قواعدها بممارسة اللعبة ذاتها"⁴، والمتداول لدى الذوات.

3. جان مارك فيري*: التفكير مع آبل ضد آبل

كتب الفيلسوف الفرنسي جان مارك فيري J-Mac Ferry في أحد أجزاء مؤلفه فلسفة التواصل la philosophie de la communication، عن موقفه من مشروع كارل أوتو آبل في التأسيسوية أو التشييدوية النهائية التي قال بها آبل، وقد عنون مقاله في نقد آبل بالتفكير مع آبل ضد آبل penser avec apel contre apel، منتقدا طرحه التأسيسي هذا بناء على جملة من الأسباب التي رآها بمثابة الحاجز المانع للقول بنهاية تأسيس العقل ومستحضرا أيضا إنتقادات ألبرخت فليمر له، حيث إنطلق مارك فيري من إشكالية تتعلق بحقيقة التفكير مع آبل ضد آبل؟، حيث يعني "ببساطة رفض التأسيس النظري،

¹ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² إدموندس أسالون، الموجز في راهن الإشكالات الفلسفية، مشكل غاية التأسيس وعقلانية الفلسفة، مرجع سابق، ص 197

³ Karl Otto Apel, la transformation de la philosophie 02, op.cit , p 377.

⁴ صابر حباشة، لسانيات الخطاب: الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2010، ص 201.
* جان مارك فيري (1946-) J-Marc Feery: فيلسوف فرنسي معاصر، انصب إهتمامه على الفلسفة الألمانية تأليفا وترجمة بالأخص هابرماس، حيث ترجم له نظرية الفعل التواصلية théorie de l'agir communicationnel إلى اللغة الفرنسية، كما ترجم كتابا أخرى بالتنسيق مع كبار مترجمي هابرماس في فرنسا مثل جان روني لادميرال J.R. Ladmiral، راينر روشليتز R. Rochlitz، كريستيان بوشيندوم Ch. Bouchindhomme، من مؤلفاته الأخرى قدرات التجربة les puissances de l'expérience، في جزئين:

الجزء الأول: الفاعل والفعل. Le sujet et le verbe.

الجزء الثاني: أنظمة الإعتراف les ordres de reconnaissance. (أنظر: جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ص 08. مقدمة المترجم).

دونما مساس ببنية تأسيسه"¹، بعد تحليله المعمق لأفكار أبل، عمل مارك فيري على تمحيصها ونقدها، مبينا أن أبل قد توجه في فلسفته التأسيسية نحو تحقيق تواصل مبني على الفهم الصحيح، هذا الفهم الذي يعتبر محور الهرمينوطيقا، لأن الأساس في العملية التواصلية هو الفهم الصحيح والبينداتي كما أشار أبل.

يعتبر النقد الذي وجهه مارك فيري لأبل "أبلغ إعتراض على نظرية أخلاقيات التواصل من داخلها، لأنه يعتمد البرهنة العقلانية ذاتها والإلتزام المسبق بمكوناتها"²، فكارل أوتو أبل ومن خلال موقفه اتجاه الفلسفة التواصلية "يسلم بأن ممارسة البرهنة وتبني شروطها المعيارية (...) تخضع أولا لقرار الفاعلين وإختياراتهم، لكن قرارهم في النهاية بالنسبة له ليس له إلا تأكيد صلاحيتها، والأساس العقلاني لتأكيد هذه الصلاحية لا يخضع في شيء لهذا المنطق، مادام إلتزام الفاعلين مرتبطا بتحقيق ملموس للعقل وليس له من إرتباط بالتأسيس الفلسفي المرتبط بالتأمل"³، والمتعلق بوجودية مسبقة لهذه الشروط المعيارية، التي تستوجب أن يتقيد الفاعلين بها، ذلك أن "البرهنة وشروط العقلانية التواصلية الملازمة لها تفرض على الفاعلين فرضا بغض النظر عن أي قرار غير عقلائي مسبق، لأن كينونتها موجودة سابقا ودوما في جماعة التواصل غير المحدودة (...) إذ لا يمكن للذات أن تدعي التموقع خارجة لأخذ قرار بشأن الإندماج فيه أم لا"⁴، طالما أن هذه الذات تعمل على التواصل* مع غيرها بناء على مزاعم الصلاحية.

ففي كل عملية تواصلية حسب ما أشار إليه مارك فيري فإننا نكون في وضعية نتساءل فيها عما إذا "كان مسموحا لنا افتراض وجود حقيقة موضوعية يمكن قبولها

¹ جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 89.

² حسن مصدق، بورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق، ص 172.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ حسن مصدق، بورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق، ص 172.

*يعتقد أبل أن الذات داخل المجتمع التواصلية وإباعتبارها ذات فاعلة يجعل من تموقعها داخله فعل لا بد منه، لأنها أن تموقت خارجا منه سيوقعها في تناقض لحصه أبل في تقطين:

1- "إذا عزمت الذات أن تتخذ بهذا الصدد قرارا يقبل التعليل العقلاني ستفترض مسبقا وجود الشروط القبلية للتواصل (...) ومن هذع الفكرة يدعم أبل أننا لا يمكننا اتخاذ قرار على مستوى الخطاب والممارسة محتمل قبول ورفض استخدام قوانين اللغة الترنسندنتالية قبل أن تفرض مسبقا هذه القواعد.

2-وخلافا لذلك، إذا ما خلصت الذات لإتخاذ قرار يتخلص من أي تعليل عقلائي، فهي بهذا ستترك حتما جماعة الإنسان العاقل والتواصل، لكن والحالة هذه، ستتخلى عن أية إمكانية لفهما أو أن تتعرف على نفسها كفاعل عاقل، وهي بذلك ستختار طريق العمق والتدمير الذاتي وبطريقة مَرَضِيَّة" (راجع نفس المرجع، ص 173).

فيما يخص المشاكل المطروحة، أم أنه كان عليها بالأحرى الإقرار بأن الحقيقة هي دائما نسبية سواء بالنسبة للثقافات، اللغات، للمجتمعات أو حتى بالنسبة للأشخاص. فإذا كان الحل الثاني أي النسبوية يبدو متعارضا، فإن الحل الأول أي مطلقية الحقيقة يبدو أنه ينطوي على افتراضات ميتافيزيقية. وهذا ما أسميه نقيضة الحقيقة¹، التي لا تنفصل عن معطيات الحقل الفلسفي بل متعارف عليها داخل الثقافات الفلسفية خاصة المعاصرة منها، وخلال تقديمه لنقيضة الحقيقة أشار فيري إلى أن "ذلك يعني ببساطة رفض التأسيس النظري، سيحل سلوك أدائي محدود تحديدا عمليا، إذ، و عوض الإلماح إلى معرفة تتعلق بماهية العقل بشكل عام، فإننا نقترح معرفة تتعلق فقط بما يمكن أن يستحق فعلا أن نطلق عليه اسم "العقل"، وهذا بالتأكيد لأسباب أخلاقية بالدرجة الأولى، إذ من السائع، دائما بالنقاش والنقد، وحتى المراجعة"²، لذلك رأى فيري مراجعة ملل قدمة آبل حول التأسيس النهائي للعقل.

في طرحه الناقد لكارل أوتو آبل بين مارك فيري أنه يرفض ما سماه آبل بالحجة الترنسندننتالية argument transcendantale، لأنها في نظره "حجة عمياء. إذ لا يمكنها أن تظهر بدعم من إعتراضها الذاتي، أي مفهوم يمكنه أن يكون عقلا آخر غير ذلك الذي تستند إليه الفلسفة الترنسندننتالية (...) لمباشرة تأسيس نهائي"³ خلال التحويلية التي تنتج عن هذا التأسيس، حيث وفي عرضه لموقفه مع/ ضد آبل وجد مارك فيري نفسه أمام حجتين اثنتين "حجة ترنسندننتالية تستند على مبدأ التناقض، وحجة نقدية تستند إلى مبدأ الإفتتاح. فالحجة الترنسندننتالية تود أن تفهمنا أن التأسيس النهائي للعقل بشكل عام يتمثل في منطوق الإفراضات الضرورية التي ليس في استطاعتنا (...) أن نضع منطوقها موضوع تساؤل دون أن يفضي التزوير الناتج عنها بداهة إلى إستنفار الإفراضات المفتح عنها"⁴، ما يدل على إستحالة التوصل إلى منطوقات خالية من التناقض الأدائي إنطلاقا من الافتراضات الترنسندننتالية التي تقع في تناقض أدائي ما يخضعها لمبدأ النقد، وبالتالي إستحالة مطلقية الحقيقة وكذا تأسيس نهائي للعقل من جهة. أما من جهة أخرى "فإن الحركة المضادة للتأسيوية يمكنها أن تظهر أن ما هو

¹ جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 44.

² المرجع نفسه، ص ص 89، 90.

³ جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 86.

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها..

مهم بالنسبة إلينا في لحظة معينة لا يحمل الأهمية ذاتها بالنسبة لذاته بصفه عامة، ومن أنه لا يمكننا تقديم افتراض لا يمكن مجاوزته حالياً بما هو تأسيس نهائي للعقل من اللحظة التي نجد فيها أن مشروعاً من هذا القبيل، يقوم هو ذاتياً بافتراض إمكانية قول شيء يتناسب مع العقل بصفة عامة"¹، إلا أن رؤية مارك فيري المضادة للتأسيس "لا تنفي أن يكون الافتراض الحجاجي هذا ضرورياً بالنسبة إلينا، بل إنها على النقيض من ذلك تظهر أن ما قد يكون ضرورياً أو ما لا يمكن مجاوزته بالنسبة إلينا ليس من الضروري التفكير فيه بما هو كذلك ولكن بما هو موجود ضمن حالة نسبية، حالة"²، بالتالي لا يمكن القول عنها أنها نهائية، أو تمثل تأسيساً نهائياً للحجة الترنسندنتالية التي قال بها آبل.

مثّلت الانتقادات التي وجهها مارك فيري إلى آبل مجموعة من الملاحظات مثّلت فراغات في مشروع، يمكن وصفها بالتناقضات، فأبل "يقبل فكرة مراجعة فعلية لتأسيسه، وبموجب ذلك فهو يضطلع بنوع من قابلية الخطأ بالتوازي مع زعمه التأسيس النهائي، لكنه ما يلبث أن يعود إلى تحفظه حول هذا التحفظ المتعلق بالقابلية للخطأ"³، لهذا السبب رأى فيري أن تصريحات "آبل* التي بيّن فيها قبوله لمبدأ مراجعة تأسيسه وكأنها صريحت بلاغية. بينما ينظر إليها في حقيقة الأمر وكأنها معصومة من الوقوع في الخطأ"⁴، إلا أن هذا لم يمنع فيري من أن يؤكد أن التأسيس النهائي لآبل هو تأسيس نقدي يمكن إحداث مراجعة له، رغم دوغمائية "الإفتراض المنظور إليه نظرة مجردة تهدف إلى إيجاد تطابق بين الشيء في ذاته وبين النحن (...)"⁵، لأن تجربة التواصل

¹ المرجع نفسه، ص 86، 87.

² المرجع نفسه، ص 86

³ جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 86.

*أشار مارك فيري أن آبل على الرغم من قبوله إخضاع مشروعه للنقد والمراجعة إلا أنه أي آبل "يلاحظ أن مراجعة من هذا القبيل لتأسيسه لا يمكنها ظاهرياً أن تتم إلا بموجب افتراضات المحاجة المثبتة بوصفها أساساً للعقل " ويضيف فيري في تحليله لهذا الموقف أن آبل إما أنه لا يفكر بشكل جدي في تحفظه المتعلق بالقابلية للخطأ، إما أنه يتحفظ به لبعض المقولات الخاصة بالصلاحة، وبين هذين الخيارين وضح فيري أنه سيأخذ الاختيار الثاني، لأن أية مراجعة لتأسيسه لا يمكنها أن تمس في نظره سوى الصياغة دون أن تؤثر فعلياً على المبدأ ذاته. (أنظر: مفس المرجع، ص 91).

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ المرجع نفسه، ص 92.

لا يمكن أن تتم دون الإحاطة بافتراضات الصلاحية، ودون الاعتراف بفاعليتها وضرورتها.

ومن جهة أخرى رأى فيري أن "زعم التأسيس النهائي يستوجب أن تكون شروط الصلاحية الممكنة مشمولة بشكل كلي في الافتراضات التي يمكننا إعادة بنائها من خلال التأمل في إجراءاتنا بالصلاحية. والحال أن هذه الإجراءات المشككة في تجربتنا الحالية لا يمكنها أن تقدم نفسها إلا كما هي الحال في كل تجربة ممكنة أو كما هي الحال في كل تجربة مكتملة للعقل بشكل عام. مع ذلك لا شيء يدل على أنها غير قابلة إلا للتأويل وفق ما يقدمه هذا التأسيس الفلسفي أو ذلك"¹، وهذا ما تم إسقاطه على مشروع آبل الفلسفي الذي بنى وفق مرجعيات ورؤى فلسفية معينة تعود إلى ذات الفيلسوف، وتجاربه داخل العالم الذي يؤثر بدوره على العقل، لهذا توصل فيري في ختام موقفه ضد آبل إلى القول أن "أي إلتماس خاص بالتأسيس النهائي لا يمكنه الكف عن أن يكون دوغماتيا إلا إذا تحول المجال العملي، وأنه، بموجب هذا التحديد ذاته، أي بما هو موضوع عملي، نجد أن الإتيقا قد تم طرحها انطلاقا من الحد الإجرائي لشكل الحياة المعقولة القائمة"² تعيشها الذوات بما هي ذوات عقلية تمارس نوعا من التأمل الذاتي العقلي، فإذا نظرنا من جهة التأسيس، "فإننا سنجد أن هناك ما يشبه السفسطة سببه الخلط القائم بين استحالة تصور تفنيد للحجج الترسندننتالية وبين استحالة التفكير في تفنيد يتم هذه الحجج، وانطلاقا من هذا الخلط ترسخ تلك النواة الدوغماتية الخاصة بزعم التأسيس النهائي"³ الذي قدمه كارل أوتو آبل الذي أكد ردا على هاته الإنتقادات بأن "التأسيس النهائي التداولي الترسندننتالي لا يتضمن أي تراجع باتجاه الميتافيزيقا الدوغماتية، بل إنه، وعلى العكس من ذلك تماما، يوفر لنا الوسائل لتعرية بعض أشكال الميتافيزيقا المقنعة ذات التأثير البالغ اليوم"⁴، مثل الإختزالوية العلمية.

كما أضاف أن "مسألة وجود أساس نهائي للعقل، مثلها مثل مسألة الحقيقة، كانت دائما بمثابة نقيضة، وتعبير أكثر دقة، كانت دائما النقيضة الأساسية للمطلقية

¹ المرجع نفسه، ص 92.

² جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص ص 103، 104.

³ المرجع نفسه، ص 102.

⁴ كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، تز: عمر محميل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الإختلاف، الجزائر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص 42.

والنسبوية على حد سواء، مع ذلك بقي أن نوضح أن الجدل حول التأسيس النهائي يعمل على إجبار الموقف الريبي على مجاوزة السياقية التجريبية أو النسبوية السوقية، وذلك بفرض نسبة المنطوقات الترنسندنتالية ذاتها، أي تلك المنطوقات المتمحورة حول أسس الحق¹ المفترضة مسبقا، والمستندة على قواعد مصدرها العقل العملي كما بين كانط، "وهذا ما يبرر بخاصة انطلاقا من أن فكرة العقل، التي تشكل المرافعة الضمنية لأبل في زعمه تأسيس العقل لا تتركز، كما هي الحال عند كانط، إلى معارضة فهم يمثل أنموذجا غير أصيل (...) بفهم آخر يمثل أنموذجا أصيلا (...). لينكر فيما بعد أي زعم يقوم مقام العقل المغاير، (...)، مع أن أبل ظل يعمل باستمرار على الإيحاء بأن فكرة عقل آخر، المتضمنة في حجة الخصوصية (التي يقصد بها الحجة الترنسندنتالية)، تعود بالأساس إلى مصادرة آخر العقل، كما لو أن العقل لا يمكنه أن يكون أي شيء آخر سوى كما فهمناه اليوم"². وعليه فإن استناد أبل إلى إفتراضات ترنسندنتالية يؤدي إلى إلغاء جملة من الإعتبارات التي من شأنها عرقلة المسار الحجائي للمنطوقات وذلك بتنصيب العقل العملي "في مستوى التحديد الترنسندنتالي الذي استند إليه أبل لهذيب المبدأ النقدي"³ القائم على مراجعة المنطوقات بطريقة تداولية، ذلك أن "المفهوم المعياري للمناقشة الحقيقية يفترض بالفعل مجتمعا من الأحكام الإتصالية، وهذا يحيل إلى وضع مثالي، يتميز بالحد الأدنى من خصائص حرية الكلام والمساواة القانونيّة للمتحدثين والإعلان عن المناقشات، والمعاملة بالمثل من خلال الإنصات والتبادل اللفظي ولا مركزية وجهات النظر، والتضامن وبالتالي المسؤولية المشتركة"⁴، التي تضمن تفعيل مزاعم الصلاحية في كل عملية حوارية، ذلك أن التفكير المتعالي بالنسبة لأبل يعدّ مصدرا للشروط القبلية للتواصل، وهو يحسبه وحده القادر على إعطاء الأخلاق أساسا نهائيا

¹ جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 87.

² المرجع نفسه، ص 88.

³ جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 90.

⁴ Jean Marc-ferry, l'éthique reconstructive comme éthique de la responsabilité politique, édition m-éditeur, nants, 2008-2009, p 25.

غير قابل للطعن، كما تتميز عن كل محاولة بناء القواعد التداولية الكونية على شروط تجريبية مادية ولمموسة تنطلق من كفاءة الأفراد التواصلية¹. ومن جانب آخر يبين فيري أنه حتى "تتمكن الفلسفة من المحافظة على جهودها المتمحور حول التأمل في العقل ذاته بشكل دائم، فإنه يفترض أن تعين لها حدا معرفيا لا تطاله محددات النتائج الإطلاقيه لا إستراتيجية المرجعية الذاتية للمحاجة الترنسندنتالية استنادا للتأسيس النهائي وللنتائج النسبية لسياقية (...) موضوعاتية تتعلق بالهدف التأسيسي لهذه الحججة"² وبشكل دائم، في تحليله لمسألة الحقيقة التي لا يمكن التأسيس لها مهما تعددت الأفكار، فإن فيري قد طرح ما يناقض هذا الطرح في مؤلفه أين إنطلق من البحث عن تأسيس لنقيض الحقيقة والوصول إلى التأسيس النهائي للعقل.

وقد أقرّ مارك فيري أن العمل على مقالته هاته المسائل "يصطدم بجملة من النقائص يلخصها التعارض القائم بين الشموليانية (الكليانية) Universalisme والسياقية contextualisme، بين المطلقية Absolutisme، والنسبية Relativisme" تماشيا والمنعرجات التي عرفتها الفلسفة المعاصرة والتي أثرت بشكل مباشر في التواصل، ويرى جان مارك فيري "أن هذا التموقع في مفصلية الجدل الفلسفي الألماني سيفتح أبواب الأنوار الفلسفية التي ظلت موصدة في وجه الفكر الفلسفي الفرنسي"⁴، محاولا إيجاد خيط رابط بين تلك التيارات السالفة الذكر "فنقد المطلقية لا يوصل بداهة إلى النسبوية (رورتي، كاستردياس)، ومن جهة ثانية فإن نقد النسبوية لا يوصل بداهة إلى المطلقية (آبل، وبيتنام)، ذلك أن هناك موقفا خارجيا ينبغي أن نضعه في الحسبان مؤداه أن الحقيقة مفهوم ميتافيزيقي بأئس، مع أنه لا توجد طريقة مباشرة للفكك منه، لأننا، وبكل بساطة، لا نستطيع الإستغناء عن مفهوم الحقيقة"⁵ ويبين أن "مفهوما ما غير إختزالوي للحقيقة، والذي سيستفيد هو بدوره أيضا من المنعرج

¹ أبو النور حسن أبو النور حمدي، بورجين هارماس: الأخلاق والتواصل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص267.

² جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص102.

³ جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 23.

⁴ المرجع نفسه، ص 09، (مقدمة المترجم).

⁵ المرجع نفسه، ص 47.

الألسني، الهيرمنوطيقي، التداولي، يمكنه أن يخضع فلسفة كانط لعملية نقد مبرمجة، طبعا مع الإحتفاظ بجوهر المثالية النقدية، ومن ثم بإمكانه تجنب شكية مابعد الحداثة، (...) ¹ وتفاديا منه الوقوع في براثن الميتافيزيقا.

وقد أكد فيري أن "مسألة وجود أساس نهائي للعقل، مثلها مثل مسألة الحقيقة، كانت دائما بمثابة نقیضة، وتعبير أكثر دقة، كانت دائما النقيضة الأساسية للمطلقوية والنسبوية على حد سواء، مع ذلك بقي أن نوضح أن الجدل حول التأسيس النهائي يعمل على إجبار الموقف الريبي على مجاوزة السياقوية التجريبية أو النسبوية السوقية، وذلك بفرض نسبنة المنطوقات الترنسندننتالية ذاتها، أي تلك المنطوقات المتمحورة حول أسس الحق" ² المفترضة مسبقا، والمستندة على قواعد مصدرها العقل العملي كما بين كانط، "وهذا ما يبرر بخاصة انطلاقا من أن فكرة العقل، التي تشكل المرافعة الضمنية لأبل في زعمه تأسيس العقل لا ترتكز، كما هي الحال عند كانط، إلى معارضة فهم يمثل أنموذجا غير أصيل (...) بفهم آخر يمثل أنموذجا أصيلا (...)، لينكر فيما بعد أي زعم يقوم مقام العقل المغاير، (...)، مع أن أبل ظل يعمل باستمرار على الإيحاء بأن فكرة عقل آخر، المتضمنة في حجة الخصوصية، تعود بالأساس إلى مصادرة آخر العقل، كما لو أن العقل لا يمكنه أن يكون أي شيء آخر سوى كما فهمناه اليوم" ³. وعليه فإن استناد أبل إلى إفتراضات ترنسندننتالية يؤدي إلى إلغاء جملة من الإعتبارات التي من شأنها عرقلة المسار الحجاجي للمنطوقات وذلك بتنصيب العقل العملي "في مستوى التحديد الترنسندننتالي الذي إستند إليه أبل لتهديب المبدأ النقدي" ⁴ القائم على مراجعة المنطوقات بطريقة تداولية

4. الخاتمة:

وفي ختام هاته الورقة البحثية نشير من جهة إلى أن مارك فيري عمل على تهديب وتنقيح المشروع التأسيسي الذي رأى فيه نوعا من الإستحالة خاصة وأن أساسه مطلقوية الحقيقة، التي أعادت إحياء العقلانية التقليدية المبنية على مطلقية العقل

¹ المرجع نفسه، ص 42.

² المرجع نفسه، ص 87.

³ جان مارك فيري، فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 88.

⁴ المرجع نفسه، ص 90.

على الرغم من نقد آبل لتلك العقلانية، وقد كان تدخل فيري النقدي موجه ليس لآبل فحسب وإنما تعداه ليشمل المشروع التأسيسي الهابرماسي أيضا، بما هما مفصلية الجدل الفلسفي الألماني، لأنهما قد إشتراكا في كثير من النقاط والآراء، مع وجود إختلافات ضمنية ومعلنة أيضا، ومن جهة أخرى فإن المحاولة النقدية هاته تعكس مدى أهمية التوصل والحوار كإشكالية فلسفية، وتدعوا إلى ضرورة الإنفتاح على أبعاد وحيثيات الفترة المعاصرة وما تحمله من تمظهرات فلسفية كثيرة.

الإحالات والمراجع:

- 1- إدموندس أسالون، الموجز في راهن الإشكالات الفلسفية، مشكل غاية التأسيس وعقلانية الفلسفة، تر: أبو يعرب المرزوقي، الدار المتوسطة للنشر، أريانة، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، (د.ط)، 2009.
- 2- أبو النور حسن أبو النور حمدي، يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
- 3- حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005.
- 4- الزواوي بعورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005..
- 5- صابر حباشة، لسانيات الخطاب: الأسلوبية والتلفظ والتداولية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2010.
- 6- صلاح عثمان، فلسفة اللغة، مفاهيم أساسية، من كتاب نحو فلسفة للكيمياء، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ط)، 2004.
- 7- عبد الفتاح جاب الله، فلسفة اللغة والمنطق دراسة في فلسفة ستراوسن، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014.
- 8- عمر مهييل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الإختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006.
- 9- علي عبود المحمداوي، الناصر عبد اللاوي، يورغن هابرماس العقلانية التواصلية في ظل الرهان الإيتي في النقد العلمي والديني والسياسي، إين النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت، ط1، 2013.
- 10- فتحي المسكين، التفكير بعد هيدغر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل؟، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2011، ص 120.
- 11- محمد بكاي، أرخبيلات مابعد الحدائة رهانات الذات الإنسانية: من سطوة الإنغلاق إلى قرار الإبتناع، دار الرافدين، بيروت، opus publishers، كندا، ط1، 2017 علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحدائة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس أنموذجا، منشورات الإختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011.
- 12- Jean Marc-ferry, l'éthique reconstructive comme éthique de la responsabilité politique, édition m-éditeur, nants, 2008-2009.
- 13- Karl Otto Apel, transformation de la philosophie 02, traduits sous la direction de Pol Vandavelde, les éditions du cref, paris, 2010.